



الاستعارات أوصاف مهاجرة

Metaphors: Migratory Descriptions

الشيخ سعدبوه¹

¹ جامعة العيون الإسلامية- موريتانيا، ssaad2301@gmail.com

ملخص:

يسعى المقال إلى الوقوف على بعض مكونات الاستعارة التي تبدو بديهية لدى المتلقي أول مرة نظرا للاستعمال والتعود، ولكنها عند التأمل تبدو شيئا آخر غير الذي تبدو، وكأنها أساس التناس والاصل الأول لكل الإبداعات الأدبية والعلاقات البشرية، وينطلق المقال من اعتبار الاستعارات أوصافا مهاجرة تتشارك مع حقائق الموصوفات تشاركها يفضي إلى إحلال الموصوفات محل الوصف استحضارا لقوة الوصف، وكمال إرادة التبليغ إن طلب الوصف لتقوية وتأكيده قصد هو المحرك الأول للاستعارات التي تتوخى بناء خاصا، وتركيبا محددا لقد سعينا إلى توضيح أن الوصف الحقيقي المهاجر إلى الوصف المجازي، لما شرع البليغ يتبعه حتى وصل به إلى ما وصل إليه من مجازات متاحة، وإمكانات البلاغ فالاستعارة ليست إلا إحلال مكان في الخريطة اللغوية محل آخر لعلاقات صريحة بين المكانين وليست هذه العلاقة شيئا غير الوصف المشترك الذي هاجر من الحقيقة إلى المجاز هاجرا على نحو ما يحدث في التناس.

كلمات مفتاحية: الاستعارة؛ الأوصاف المهاجرة؛ التناس؛ اللغة المجازية؛ البلاغة.

Summary:

The article seeks to explore some components of metaphor that may seem obvious to the audience at first glance due to usage and familiarity. However, upon reflection, they appear to be something entirely different from what they initially seem, as if they are the foundation of intertextuality and the primary source of all literary creations and human relationships.

The article starts from the premise that metaphors are migratory descriptions that share with the realities of what they describe in a way that leads to replacing the descriptions with the described, invoking the power of description and the completeness of the intention to convey meaning. The quest for description to strengthen and confirm intent is the primary driver of metaphors that seek a specific construction and defined structure. We aim to clarify that the true description that migrates to metaphorical description is what the eloquent speaker pursues until reaching various available metaphors and rhetorical possibilities. Thus, metaphor is merely a replacement in the linguistic map of one place with another, establishing explicit relationships between the two locations. This relationship is nothing but a shared description that has migrated from reality to metaphor, akin to what happens in intertextuality.

Keywords: Metaphor; Migrating Descriptions; Intertextuality; Figurative Language; Rhetoric

1. مقدمة:

الاستعارات أوصاف مهاجرة:

لقد تمت دراسات الاستعارة عبر قرون طويلة، لكنها ماتزال تعيد نفسها في كل مرة بوجه من الوجوه، وتبعث المتأمل في اللغة على النظرة فيها تلو المرة، ونفترض هاهنا أن الاستعارات ماهي إلا أوصاف تحمل البليغ على أن يتبعها، حتى تنزل على المُسمى الأنسب والمعنى الأشرف لعلاقة التناظر والشبه.

١_ الفرق بين الحقيقة والمجاز الاستعاري.

يجمع البلاغيون على أن الحقيقة هي اللفظ المستعمل فيما وضع له¹ وقد فرعها الإمام السكاكي إلى فروع ثلاثة لغوية، وشرعية وعرفية، وهذا التفرع بحسب المتكلمين ومجالاتهم، واصطلاحاتهم لا يُخرج الحقيقة عن تعريفها واستثمار دلالتها من نوع التخاطب إنها "الكلمة المستعملة فيما وضعت له في اصطلاح التخاطب"²، ويؤخذ من هذا التعريف معنى المجاز الذي يقابل الحقيقة، كما يظهر من تحديد معانيه، فهو من جاز المكان يجوزه إذا تعداه، ونقل الكلمة الجائزة أي المتعدية مكانها الأصلي، أو الكلمة المجوز بها على أنهم جازوا بها مكانها الأصلي، وجاز المكان سلكه، فالمجاز بهذا المعنى طريق إلى تصور معناه، وجعلت كذا مجازاً إلى حاجتي أي طريقاً لها³ فهو وسيلة من وسائل التبليغ عن قصد وطريق من طرقه المتاحة لأسباب منطقية، ومن أجل ذلك ليس كل استعمال للفظ في غير ما

وضع له مجازاً، بل لا بد أن تبني العلاقات بين الفرع والأصل على ضرب من الملائمة أو المشابهة، ويسمى هذا الضرب الأخير بالاستعارة ويسمى الأول مجازاً مرسلاً⁴ وبالجملية فإن اللفظ المستعمل في غير ما وضع له قد يكون مجازاً، وقد يكون كناية وقد يكون غلطاً وقد يكون مرتجلاً، وقد يكون منقولاً والمنقول منه ما غلب في معنى مجازي للموضوع له الأول حتى يهجر الأول، فهو في اللغة حقيقة في المعنى الأول مجاز في الثاني، وفي الاصطلاح المنقول فيه بالعكس كلفظ الصلاة المنقول من الدعاء إلى الأركان المخصوصة... فإنه في اللغة حقيقة في الدعاء مجاز في الأركان المخصوصة... ومنه ما غلب في بعض أفراد الموضوع له الأول كلفظ الدابة إذا أطلقت على الفرس باعتبار مجرد أنه يدب على الأرض حقيقة⁵..

ويُحترز بالكلمة المستعملة عما لم تستعمل، فإن الكلمة قبل الاستعمال لا تُسمى مجازاً كما لا تسمى حقيقة⁶ وينبغي على هذا أن اللفظ المستعمل فيما وضع له في اصطلاح لغوي حين يستعمله صاحب اصطلاح شرعي في غير اصطلاحه الشرعي يصير مجازاً، فالانتقال من الحقيقة والمجاز مرهون باختلاف المتكلم، أو تغيير الكلمة لا غير ذلك، فثمة محددات للوضع الحقيقي والمجازي هي العرف العام واللغة والشرع، ولما كان أصل الوضع التواطؤ، وكان استعمال الكلمات مراتب وبعض الكلمات أكثر استعمالاً من بعض كانت الدلالات تُعَيَّن معناها باعتبار المجال الذي تنشط فيه، وإذا خرجت عنه ودلت على معنى آخر صارت مجازاً، وهذا يفسر أن لكل اصطلاح وضع مشترك لأصحابه، ولا تقوم المفردة الواحدة بجهدين في وقت واحد حتى تدل على الشيء وما يخالفه⁷، فالمتكلم والوضع الحقيقي لغوياً كان أو عرفياً أو شرعياً هما المبدأان المحددان للحقيقة ونظيرها، ولا بد من علاقة بينهما حتى يخرج الغلط،⁸ ، وبأنواع العلاقات تتمايز الاستعارة وهي أن تريد تشبيه الشيء بالشيء فتدع أن تفصح بالتشبيه وتظهره وتجيء إلى اسم المشبه به فتعيره المشبه وتجريه عليه، ويشير عبد القاهر إلى ظاهرة استعارية أخرى في مثل: -إذ أصبحت بيد الشمال زمامها ويفرق بينهما، وأنها غير سواء فيقول هذا الضرب وإن كان الناس يضمونه إلى الأول حيث يذكرون الاستعارة، فليسا سواءً، ثم يسترسل موضحاً: أنك في الأول تجعل الشيء الشيء ليس به، وفي الثاني للشيء الشيء ليس له ليختتم بأنك: "قد ادعيت للشمال يداً، ومعلوم أنه لا يكون للريح يد"⁹

فهي إذن ما كانت العلاقة بين المعنيين فيه -الحقيقة والمجاز قائمة على المشابهة، أي أنه قصد إطلاق المعنى المجازي بسبب تشبيهه بمعناه الحقيقي، فالعبرة بقصد إرادة الشبه،

فإذا أطلق مثلاً نحو المشفر على شفة الإنسان فإن أريد تشبيهاً بمشفر الإبل في الغلظ فهو استعارة، وإن أريد إطلاق المقيد على المطلق كإطلاق المرسن على الأنف من غير قصد إلى التشبيه فمجاز مرسل، فاللفظ الواحد بالنسبة إلى المعنى الواحد قد يكون استعارة، وقد يكون مجازاً مرسلًا باعتبارين¹⁰ وقد يفسر هذا أن المسميات المتفقة في الحقيقة المتنوعة في الموجودات، قد يتحدد معناها بتقييد يتعلق بوصف ما تقيده فالظاهر أن المسمى المجازي إما أن يقتضي حقيقته مع المحمول عليه اللفظ الحقيقي من خلال الأجناس التي تشترك وإياه حقيقة الرأس والأنف وحقيقة التسمية مبناها كما هو ظاهر حسي عقلي فتقيد اللغة ذلك المسمى - أي جهاز الشم مثلاً - باسم بحسب تعدده في الموجودات فتسمي حاسة الشم أنفاً في الإنسان ومرسناً بالإبل على سبيل المثال رغم أن الحقيقة واحدة، وقد لا تُقيد اللغة تلك الحقيقة كالرأس مثلاً، و تنفصل الاستعارة المفيدة عن غير المفيدة بالاتفاق في الحقائق "ولعل من أبرز ما ساهم به الجرجاني في تطوير مبحث الاستعارة اعتماده في تقسيمها، وبيان أنواعها على الجانب الوظيفي، فميز بين الاستعارات المفيدة والاستعارات غير المفيدة، وبنى تمييزه على مقياس طريف هو الاختصاص والاشتراك. فالاستعارة غير المفيدة هي التي تقوم على ضرب من التوسع في أوضاع لغة بعينها، كوضعهم للعضو الواحد أسامي كثيرة باختلاف الأجناس «نحو وضع الشفة للإنسان، والمشفر للبعير، والجحفة للفرس»، ثم ينقل الشاعر كلمة من هذه المعاني عن أصلها ويستعملها في غير الجنس الذي وضعت له كاستعمال «المرسن» وهو في الأصل للحيوان، للدلالة على الأنف.. وقد يقع العكس فيطلقون أعضاء الإنسان على الحيوان..

وأما الاستعارة المفيدة فهي المقامة على التشبيه، والتي تحصل منها فائدة ومعنى من المعاني ما كان يحصل لنا لو أخرجنا الكلام على عواهنه¹¹

وإذا كانت الحقيقة واحدة فإن المعاوضة بين مسمياتها في النوع لا تفيد فائدة كبيرة لذهاب ماء الوصف، واستبعاد أن يضرب من الغرابة بأدنى نصيب.

٢،١ الاستعارة بين الأوصاف والأسماء:

تطرح الأسماء والأوصاف والعلاقة بين الاسم الذي يصدق على المسمى، وبين الأوصاف التي يتصف بها ذلك الاسم قضية لغوية، فقد يكون لذات المعنى أوصاف ربما غلبت على المسمى نفسه فأطلقت عليه، وربما يطلق الوصف لا غلبة وهو أمر يصير من اللازم تبين الفرق بين الاسم ووصفه فالأول مثلما هو مستقر في الطبع حيث وقع وقعت عليه موصوفاته، ولا

عكس، فالأوصاف تضاهي الأسماء في التعدد وتخالقها في الحقيقة فهي قاصرة عن أن تبلغ درجة الأسماء في الدلالة على مسمياتها، وهذا ما يطرح مسألة العلاقة بين الاسم والوصف وهل لكليهما واقع خارجي يصدق عليه أم أن الأمر ليس كذلك ؟

وهل يعني هذا وجود حقيقة لكل لفظ ولا يعني وجود مجاز لكل حقيقة ؟

نفترض أن اللغة لم تضع لكل حقيقة مجازا تصوير إليه، وليس من غرض للمتكلم في أن يكون كل كلامه مجازات واستعارات وغرائب من القول والكلام لا حقائق به، واعتماد هذا الافتراض يفيد خصوصية في الاستعارات وتعلقها بحال ومقال من القول يسلك فيه البليغ طريقا ينتهي به إلى نهاية قصده ويبلغه حاجته، ويتضح هذا عند ضرورة التفريق بين الأسماء والأوصاف في الاعتبار فـ "اعتبار التناسب في تسمية شيء باسم يغير اعتبار المعنى في وصف شيء بشيء كتسمية إنسان له حمرة بأحمر، ووصفه بأحمر فإن اعتبار التناسب في التسمية لترجيح الاسم على غيره حال وضعه للمعنى، وبيان أنه أولى بذلك من غيره وفي الوصف لصحة إطلاقه، وبهذا يشترط بقاء المعنى في الوصف دون التسمية فعند زوال الحمرة لا يصح وصفه بأحمر حقيقة ويصح تسميته بذلك فاعتبار المعنيين في الحقيقة والمجاز ليس لصحة تسميتهما بهما بل لأولوية ذلك وترجيحه على تسميتهما بغيرهما من الأسماء، فلا يصح في اعتبار التناسب للتسمية أن ينقض بوجود ذلك المعنى في غير المسمى"¹²

فاجتماع اعتبار معنى المناسبة والوصفية في كل من الحقيقة والمجاز فجر طاقات اللغة وأوحى بما تتيح من ادعاءات وبناء معنى على معنى هو أقوى منه، وأمكن منه في الاتصاف بإرادات البليغ ذلك أن المستعير يجرى المستعار منه مكان المستعار له يروم من وراء ذلك إظهار المعنى الذي هو أقوى وأمكن في المستعار منه من المستعار له بجامع إرادة الإشراف وتعليق القصد عليه، ويفيد هذا ضرورة أن المعنى سابق على اللفظ فهو محدد له وموجه لاستعمالاته.

٢ الاستعارة الوصف المهاجرين اللغة والعقل:

إن غاية المتكلم البليغ إذا طرق الاستعارة هي كشف ما انطبع في نفسه من المعاني الخاصة على وجه يُحوجه إلى الاستعانة بمعان أخرى أقوى في ملزوماتها الاستعارية منها في ملزوماتها الحقيقة اكتسبت هذه القوة من حيث العرف والعقل، وهذا ما يجعل استحضار ذلك اللازم الأقوى بواسطة ذكر ملزومه وإرادته هنا، وهي عملية تعنى مطابقة المعنى المراد للمعنى المهاجر عنه الحقيقي رغبة في كشف ما انطوت عليه النفس من صدق الإدراك

ووضوح المعنى في الموصوف بها ببلوغ درجة من القوة توافق الحال الذي " هو الأمر الذي يدعو المتكلم إلى أن يعتبر في كلامه خصوصية ما أي هو ذلك الداعي الذي يهتف بالفطرة الصادقة إلى أن تجري صياغة العبارة على طريق دون آخر ¹³ وهو ما يفسر اعتماد الاستعارة على الادعاء يقول السكاكي

"أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر مدعياً دخول المشبه في جنس المشبه به دالاً على ذلك بإثباتك للمشبه ما يخص المشبه به ..مدعياً أنه من جنس الأسد فتثبت للشجاع ما يخص المشبه به وهو اسم جنسه والذي قرع سمعك من الاستعارة تعتمد إدخال المستعار له في جنس المستعار منه هو السر في امتناع دخول الاستعارة في الأعلام اللهم إلا إذا تضمنت نوع وصفية لسبب خارجي" ¹⁴ لأن الأعلام تمنع الاشتراك والعلم يقتضي التشخيص ومنع الاشتراك والجنس يقتضي العموم" ¹⁵

هذا الكلام يؤكد تأسيس الاستعارة على الادعاء ولأجل بنائها على الادعاء انقسم البلاغيون إلى قسمين

-جمهور البلاغيين: يرى أن الاستعارة مجاز لغوي، ومبنى هذا الرأي على أسس نذكر

منها

الاتفاق على أن المستعار وهو مثل "أسد" في قولنا "في الحمام أسد" أن المستعار هنا- الأسد- هنا يدل على السبع المعروف وأنه استعمل في غير معناه أي وجه معناه إلى معنى آخر، وهذا المعنى هو الرجل الشجاع ليكن زيدا أو عمراً فرأيت أسداً يرمي موضوعاً للمشبه به أعني السبع المخصوص، لا المشبه أعني الرجل الشجاع، ولا لأمر أعم من المشبه به والمشبه كالشجاع مثلاً ليكون إطلاقه على كل منهما حقيقة كإطلاق الحيوان عليها" ¹⁶

أن المستعار -الأسد- لو دل على غير معناه الذي وضعت له اللغة وذلك بأن يدل على وجه الشبه الذي هو الشجاع لانخرم كونها استعارة لسببين اثنين

أن الشجاع وصف وليس اسماً

-أنه لو وضع للشجاع لكان ذلك غير داخل في باب الاستعارة ولا بمزاحم لها أدنى مزاحمة لأن الاستعارة هي معاوضة فإذا "إذا أطلق العام على الخاص لا باعتبار خصوص بل باعتبار عموم فليس من المجاز في شيء" ¹⁷ فلو قلت رأيت إنساناً، وأنت تقصد زيدا أو عمراً لم يكن من الاستعارة في شيء لصدق الإنسان على زيد صدقها على أي إنسان (+ ذكر + أنثى

الخ)، وما هذا من الاستعارة كما أنك لو أردت بالأسد الشجاع لصدقت هذه الصفة على طرفي التشبيه جميعا وهذا ليس من الاستعارة.

- أن يكون المستعير قد قصد بالمستعار معناه الحقيقي، وهذا الذي يقع حوله الخلاف، وهو عند من يراها مجازا لغويا حقيقة لغوية مؤولة الاتجاه الثاني يرى أنها مجاز عقلي لأن اللفظ المستعار لا يدل على غير معناه الحقيقي، وأن دلالة على معناه الحقيقي وذلك لأن المتكلم ادعى دخول المشبه في جنس المشبه به وأنه لو لم يدع ذلك لما أمكنته أن يستعير، وهذا يقتضي أن تكون القرينة مؤكدة لاستعمال اللفظ في معناه الحقيقي، وهو ما يقتضي جعل غير الواقع واقعا وهو تصرف عقلي أي -"التصرف في أمر عقلي لا لغوي"¹⁸

ويؤكد هذا الرأي بمسألتين مهمتين

-عدم وقوع الاستعارة في الإعلام ولو كانت الاستعارة مجرد نقل الأسماء دون الأوصاف اللازمة لها لأمكن أن تكون في الإعلام، ولا تكون فيها إلا في حال تغليب الوصف على مطلق الاسم. "ولا تكون الاستعارة علما لما سبق من أنها تفتضي إدخال المشبه في جنس المشبه به بجعل أفراده قسمين متعارف وتعارف ولا يمكن ذلك في العلم لمنافاته الجنسية لأنه يقتضي التشخيص ومنع الإشراف، والجنس يقتضي العلوم وتناول الأفراد إلا إذ تضمن العلم نوع وصفية"¹⁹

-حصول التناقض في اجتماع ادعاء معنى المشبه للمشبه به وإجرائه عليه، وبين انكار هذه الدعوى بنصب قرينة صارفه لهذا المعنى، فكيف تجتمع المبالغة في إثبات أمر لأمر مع المبالغة في نفيه عنه

ورد السكاكي بأن ذلك ممكن عن طريق التأول فقال "واعلم أن وجه التوفيق هو أن تبني دعوى الأسدية للرجل على ادعاء أن أفراد جنس الأسد قسما بطريق التأويل متعارف وهو الذي غاية جرأة المقدم ونهاية قوة البطش مع الصورة المخصوصة، وغير متعارف وهو الذي له تلك الجرأة وتلك القوة لا مع تلك الصورة بل مع صورة أخرى مستشهدا لدعواك هاتيك بالمحيلات العرفية والتأويلات المناسبة"²⁰

وحاصل هذا الخلاف وثمرته أن الوصف في المجاز العقلي أقوى هجرة منه في المجاز اللغوي، لأنبه ادعاء اتصاف المستعار له بالمستعار اتصافا كليا وهو متعذر عند تأول الاسم بنصب قرينة صارفة اللفظ عن حقيقته إلى المجاز، وليست وظيفتها حمل اللفظ على ما هو موضوع له لدى من يجعل الاستعارة مجازا عقليا.²¹

٣- الوصف بين الاستعارة والتشبيه:

الاستعارة فرع عن التشبيه وهي مبنية عليه ابتداءً، وتتداخل معه في بعض التعريفات وتلتبس به في بعض تراكيبها فلا تتميز عنه إلا بالقرائن الحالية والتصويبات المقالية، ومن تلك التراكيب قولهم زيد أسد، ورأيت زيدا أسداً²² وغيرها من التراكيب التي تفيد إرادة المعاوضة بين المشبه والمشبه به فتراكب المشبه على المشبه به حتى يظهران بمنزلة واحدة، وإن كان السكاكي قد حسم في مثل هذه التراكيب عند قوله

"إذا قلت زيد أسد أوقعت أسد على زيد، ومعلوم أن الإنسان لا يكون أسداً فوجب المصير إلى التشبيه بحذف أدواته قصداً إلى المبالغة"

فهو يرى هذا الوجه للتفريق بين الاستعارة والتشبيه من أن إجراء اسم على اسم في معناه المتحقق في بعض الاسناد كزيد بحمل الزيدية على الأسدية وجعلها إياه متعذر لأنه داخل في حمل الشيء على ما يخالفه فيجب المصير إلى تقدير التأويل فإن التفاتاني يؤكد استعارة مثل هذا التركيب لأن المشبه عنده هو اتصاف زيد بالشجاعة المكثى عنه بزيد أي الرجل الشجاع وهذا الشيء يفضي إلى أن مبنى هجرة الوصف من الموصوف الأول "الذات" وطريقه إنما كان بوصف آخر وهي طريقة يمكن القول إن فيها إفراغ المسميات من مقولتها اللفظية إلى دلالاتها الوصفية وتنبي أن هجرة الوصف الذي طلب في مكان آخر "اللفظ المجازي أو المستعار" لكيفية مخصصة به أو عدد قد هاجر مرتين، فقد هاجر عن تركيبه الأول "الذات الموصوفة" إلى جنس الشجاعة العام مجسداً في الرجل الشجاع إلى الموصوف هو زيد مثلاً ليكون زيد نائباً عن الوصف ثم واصل الهجرة إلى مسمى آخر آخذاً طريقه من نسبة القدر المشترك بين طرفي التشبيه لينوب الموصوف الجديد عن الصفة المطلوبة من خلال الادعاء متخذاً طريقاً يتدرج بين البساطة والتعقيد، و ما تسمح به العلاقات الممكنة بين الحقيقة والمجاز، وإن كان المطلوب في ذاته هي الحقيقة المنطبقة في النفس من إدراكات خبرية ينشأها البليغ في عالم خاص من التصورات ويستدل على ذلك بأمو رمها:

-أنه لا مناسبة بين زيد والأسد في قولنا "رأيت أسداً يرمي" إذ لا ملازمة بينهما ولا دلالة عليه، وإنما يعني أنها استعارة عن شخص هو موصوف بالشجاعة²³ "ما يعني هجرة الوصف ثلاث مرات عن الذات المشبه إلى الصفة العامة المشتركة ثم هجرته من الجنس العام المشترك إلى جنس المشبه به ثم هجرته للمشبه به واستقراره به

-ورود هذا التركيب غالبا متصلا بالظرف ذي الصلات القوية بالصفات والأفعال كقول

الشاعر

أسد علي وفي الحروب نعامة²⁴، فيكون المستعار منه هو الوصف وليس اسم الموصوف
ولكن يرد على هذا القول بمسائل من أهمها

-أن استعمال أسد علي في معنى مجترئ عليه هو من استعمال الملزوم، وإرادة اللزوم

فليس هو من التشبيه فضلا عن أن يكون استعارة

-أن تعلق الجار والمجرور لا ينافي استعمال الأسد في معناه الحقيقي إذا لوحظ على

سبيل التبع ما هو لازم له ومفهوم منه في الجملة

أن استعارة الأسد للرجل الشجاع لا يراد له أن يكون المستعار له مفهوم عام هو الرجل

الشجاع حتى يظهر تعلق الجار به بل أريدت استعارته لذات صدق عليها ذاك²⁵

هذا وقد بلغ الإشكال القائم في تحديد الفرق بين الأصل "التشبيه" وفرعه الاستعارة

ذروته في تركيب واحد، وهو التركيب الذي لا يذكر فيه المستعار له البتة، وإنما يذكر وجه

الشبه كما في قولهم:

ولاحت من بروج البدر بعدا، بدور مها تبرجها اكتتان²⁶

تشبيه القصور الشامخة بروج البدر وذكر وجه الشبه وهو "البعد" فالذين قالوا إنها

استعارة نظروا في حذف طرف التشبيه المستعار له، والذين قالوا إنه من التشبيه نظروا إلى

التصريح بوجه الشبه، وذكر الشاعر له وفحصوا في الفرق بين تقدير ذكر طرف التشبيه

وحذفه بالكلية، ""ترك المشبه لفظا أو تقديرا يقتضي أن يكون هذا استعارة وذكر وجه الشبه

يقتضى أن يكون تشبيها... الظاهر أن مثل هذا من باب التشبيه لأن المراد من كون المشبه

مقدرا أعم من أن يكون محذوفا "لأن التقدير يجمع بين ترك الذكر لفظا وإرادته معنى، وذلك

ليس يمكن في عدم التقدير ولما كان تقدير الذكر أعم ففيه اجتمعت إرادة الذكر مع عدمه،

وهو أمر يتعذر في الترك بالكلية والقول باندرج الاستعارة، والأصح أنه من التشبيه لضعف

هجرة الوصف بخلافه في الاستعارة التي يعاندها وجود وجه الشبه وهو الجهة التي ترابطت

عليها وحدات التشبيه ومكوناته.

ولا يقتصر موطن الالتباس بين الاستعارة والتشبيه على ذكر وجه الشبه وحده، بل

تتجاوز ذلك إلى بعض تراكم الاستعارة التمثيلية والمفردة فيكون الضابط في تمييز أحدهما

من الآخر أن يكون في الكلام ما يقتضى تقريره أوصحة وقوع المشبه موقعه ولا يفوت إلا

المبالغة في التشبيه²⁷، فمن الأول قوله تعالى وله تعالى "حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الأسود من الفجر"²⁸ لأن بيان الفجر من الخيط الأبيض قرينة على بيان الليل من الخيط الأسود²⁹ بينهما تقابل رغم ما في "من المبينة للجنس من إشارة إلى دخول الفجر في الخيط الأبيض، ودخول الليل- الخيط الأسود- فقد شبه تعالى الليل بالخيط الأسود بجامع السواد وشبه الفجر بالخيط الأبيض بجامع البياض، وفيه معنى الاشتمال ولم يكن الوصف الذي هنا مهاجرا إلا عن الموصوف به بدليل ذكر الطرفين وحذف وجه الشبه أما النوع الثاني فمنه قوله تعالى "وما يستوى البحران هذا سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ومن كل تأكلون لحما طريا"³⁰

فإنه على تقدير تشبيه الكافر بالبحر الأجاج والمؤمن بالعذب وتفضيل المشبه به على المشبه باشتراكه مع المشبه في وجهه، وانفراده عنه بمزية لأن المقام به مقام ذم ومدح، وهو أسلوب منه قوله تعالى "ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو شدة قسوة، قوله تعالى إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل، ومما يؤكد الفرق أيضا³¹ وعلى هذا التوجيه تضعف هجرة الوصف ببقاء المشبه مقدرا في الذكر فهي هجرة مقيدة

٤- تقييد إرادة الوصف بقرائن

تعدد القرائن بحسب علاقاتها بالوصف المناسب بين المعنى الذي هاجر عنه الوصف والمعنى الذي هاجر إليه من أجل أن ترد المجاز إلى الحقيقة، فغاية القرينة هي تأطير وجه الشبه المعنى، فتصرف اللفظ عن معناه الحقيقي إلى المجازي محافظة على الحدود بين المكانين الحقيقي والمجاز حتى توقع التوافق بين المختلفين، وتظهر تشاكل التباين باعثة روح العلاقات الدلالية وفاعليتها الشعورية بين الحقيقة والمجاز

إن وجه الشبه أو الجامع يظل حبالا يستعصم به الطرفان معا يظهر كالموازي بينهما حين أجرى المستعار على المستعار له كان من اللازم ظهور ما يرد إلى أصله، والقرينة إذن قد تكون أمرا واحدا وقد تكون أكثر كما في قوله:

وإن تعافوا العدل والإيمان فإن في أيماننا نيرانا³²

لأن إرادة السيوف وذكر غيرها "النيران" لا يفهم إلا بالعلاقات القائمة بين العدل والإيمان من جهة، واليمين والسيوف من جهة فتعليق الجزاء على الشرط يفسر إرادة السيوف ولولا هذه العلاقة لاستعصى صرف المعنى عما وضع له حقيقة إلى معناه المجازي لأنه في البديهيات أنه إذا كانت الحقيقة تنتمي إلى الوضع المشترك، أو العمومي فإن المجاز

ينتهى إلى الوضع الخاص أو الذاتي وتحسن الاستعارة و تغرب بحسب القرائن القائمة بين المستعار والمستعار له، وقد ترتفع إلى درجات من الإحسان مراتب تعيد إنتاج المعنى على وجه فريد، ويستدل البلاغيون على ذلك ببعض الأمثال كقول الشاعر في وصفه عنان فرسه ممتدا من القربوس إلى جانب الفم واصفا امتداد العنان وهيئته فقال:

وإذا احتبى قربوسه بعنانه علك الشكيم إلى انصراف الزائر حيث شبه هيئة وقوع العنان في موقعه من قربوس السرج ممتدا إلى جانب فم الفرس بهيئة وقوع الثوب موقعه من ركبي المحتبى ممتدا إلى جانبي ظهره، فاستعار الاحتباء، وهو أن يجمع الرجل ظهره ساقيه بثوب أو غيره لوقوع العنان في قربوس السرج فجاءت الاستعارة غريبة لغرابية الشبه.³³

لأن غاية الشاعر هو كشف المعنى الخفي أو "الدلالة الظاهرة على المعنى الخفي"³⁴ وهي متحققة هنا ليس على سبيل أن المعنى في المجاز أقوى منه في الحقيقة بل على سبيل إظهار ما يستبطن على النفس إلا بضرب من التعبير، وقسط من الفطنة وخرق لعادة الكلام، وهي تختلف باختلاف نوع الاستعارة ففي الاستعارة التمثيلية التي هي "مجاز مركب منتزع وجه الشبه فيه من متعدد، أي تشبيه إحدى الصورتين المنتزعتين من متعدد بالأخرى بادعاء أن الصورة المشبهة من جنس الصورة المشبه بها بإطلاق المتكلم على الصورة المشبهة اللفظ الدال بالمطابقة على الصورة المشبه بها"³⁵ وفي هذا الاستعمال يصل التماثل في وجه الشبه أعلى درجاته مع الاختلاف البين بين ألفاظ تينك الصورتين، ولا أبن هاهنا من أن تكون الحال هي القرينة الدالة على إرادة ذلك المعنى، وغاية الوصف هي الهجرة عن المعاني المدركة بالعقل إلى المعاني المدركة بالحس فإذا كانا "كل نص لاحق ينبثق من خلايا نصوص سابقة"³⁶ فإن الاستعارة مبنية على معرفة سابقة.

ه- نطاق الوصف في التحقيق والتخييل:

لعل أبرز من فصل في تفرع الاستعارات هو الإمام السكاكي، وهو تقسيم لا يخرج في مجمله لاعتبار التحقيق والتخييل عن أربعة أقسام³⁷ هي الاستعارة التصريحية مع القطع بالتحقيق أي تحقق المستعار منه في العي أو في العقل، والمراد بالتحقيق أن تكون له نسبة من الحقيقة أو في الواقع المحسوس أو يكون الوصف المهاجر متحققا لازم وجوده للمستعار منه، أو موجود في المستعار منه ظاهرا، أو يكون متحقق عقلا أي لازما لمعنى المستعار منه، ويفيد التصريح المطابقة الضمنية بين المستعار والمستعار له "، فالاستعارة التصريحية مع القطع هي التي ذكر فيها المستعار وحذف المستعار له البتة، ، والتخييلية المصرح بها هي التي في مثل

"مخالب المنية الشبيهة بالسبع، فقد صرح باللفظ المشبه به بعد أن كان مضمرا في النفس مكننا عنه وذكر وهو السبع، وهي تخيلية لأنه ليس للمنية شيء يصلح أن يشبه بالمخالب فهي افتراض محض وتصور متخيل، وتصريحية لأنه صُرح باللفظ المشبه به، وبهذا التصريح تقابل المكنية التخيلية وتتحدد الاحتمالية لأنه يوجد في المستعار ما يمكنه حمله على التحقيق عقلا أو حسا.

و"قد تتقيد الاستعارة بالتحقيقية وهذا التقييد يتميز عن التخيلية والمكنى عنها، وإنما تسمى تحقيقية لتحقق معناها أي ما عني بها واستعملت فيه حسا كان أو عقلا بأن يكون ذلك المعنى أمرا معلوما يمكن النص عليه ويشار إليه إشارة حسية أو عقلية، فيقال إن اللفظ قد نقل عن مسماه الأصلي فجعل اسما لهذا المعنى على سبيل الإعارة للمبالغة في تشبيهه بالمعنى الموضوع له، فالحسي كقول زهير:

لدى أسد شاكي السلاح مقذف وهو أمر متحقق حسا،.. والعقلي كقوله تعالى و
 "اهدنا الصراط المستقيم" أي الدين الحق وهو ملة الإسلام وهذا أمر متحقق عقلا لا حسا

38"

ومن خلال هذا العرض الميسر نخلص بالنتائج الآتية من بين الأوصاف والحقائق
 -أنه إذا كانت حقائق الشيء ثابتة فإن أوصافه متحيزة
 -بناء الاستعارات على الأوصاف لا على حقائق الأشياء المميزة
 -تغليب الوصف على الحقيقة يتولد عنه المجاز العقلي بواسطة التخيل
 -إفراغ المسميات عن أوصافها الكلية إلى وصف جزئي بغية تحقيق كمال الإرادة
 -كمال البلاغة ليس إلا كمال مراد النفس بطريق الادعاء وضروب التصيير
 ليست اللغة عادلة في تناولها لموضوعات الوجود في وضعها الابتدائي، بل إن منشأها
 عقلاني شكلي تجمع بين المنافذ الذهنية والإدراكات العقلية

أن انتقال الوصف في الاستعارة يمر من البسيط إلى المركب ومن الواقع إلى المتخيل
 -إنشاء الوصف والمقصود بإنشاء الوصف هو الانتقال من المطابقة الضمنية بين
 المشبه والمشبه به، كما تمثله الاستعارة التصريحية إلى المطابقة التصريحية ببناء المشبه على
 معنى المشبه به وإنشائه، ونفترض هنا بقليل من التحفظ أن الاستعارة بالكناية فرع عن
 الاستعارة التصريحية كما كانت الاستعارة التصريحية فرع عن التشبيه، وآية ذلك أن قولنا
 رأيت أسدا بمعنى الرجل الشجاع" زيدا أو عمرا" ينتقل إلى الاستعارة التخيلية بالكناية في

قولنا "شاهدت زيدا يزأر" وهذا تتضح العلاقات بين أنواع الاستعارة في المفرد، وطبيعة انتقال الوصف من البسيط إلى المركب، والقريب إلى البعيد.

قائمة مصادر البحث ومراجعته:

- أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن على السكاكي ، مفتاح العلوم ضبط وتعليق
نعيم زرزور دار الكتب العلمية بيروت بيروت ط ٣، ١٤٠٧/١٩٧٨، ص
- حافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، شرح عقود الجمان، دار الفكر بيروت
لبنان بدون تاريخ
- حمادي الصمود، التفكير البلاغي عند العرب، منشورات الجامعة التونسية ١٩٨١
- محمد أحمد أبو موسى، خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني،
ناشر مكتبة وهبه ط ٣١٤١٦/١٩٩٦.
- ((محمد مريني هجرة النصوص وهجرة الأفكار من التحليل النصي إلى التحليل
الجينالوجي مجلة البلاغة وتحليل الخطاب مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء العدد ٨/٧
خريفشتاء ٢٠١٥
- سعد الدين بن عمر التفتازاني، المطول، شرح تلخيص مفتاح العلوم تحقيق عبد
الحميد هنداي، ط ٣، دار الكتب العلمية.
- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز

¹ أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن على السكاكي ، مفتاح العلوم ص ٣٥٨.

² الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، شرح عقود الجمان، ص ٩١

³ سعد الدين بن عمر التفتازاني ، المطول، شرح تلخيص مفتاح العلوم ص ٥٧٢.

⁴ ينظر الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، شرح عقود الجمان، ص ٩١.

⁵ سعد الدين بن عمر التفتازاني المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم ، ص ٥٨٣.

⁶ ينظر أبو يعقوب يوسف السكاكي مفتاح العلوم ، ص ٣٦١-٣٦٣.

⁷ ينظر سعد الدين بن عمر التفتازاني المطول شرح تلخيص المفتاح الحديث في المشترك اللفظي ،
ص ٥٦٩

⁸ ينظر بهذا الخصوص الحافظ جلال الدين شرح عقود الجمان ص ٩١.

⁹ عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ص ٦٨

¹⁰ ينظر سعد الدين ، التفتازاني، المطول ، ص ٥٨٣.

- 11 حمادي الصمود، التفكير البلاغي عند العرب ص ١١٥٧٩
- 12 سعد الدين بن عمر التفتازاني، المطول شرح التلخيص، ٥٧٢.
- 13 محمد محمد أبو موسى، خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعانيص ٧٢.
- 14 أبو يعقوب يوسف السكاكي مفتاح العلوم، ٣١٩
- 15 سعد الدين بن عمر التفتازاني، المطول، شرح التلخيص ص ٥٨٧.
- 16 سعد الدين التفتازاني، المطول، ص-٥٨٣-٥٨٤
- 17 نفسه ٥٨٤
- 18 ينظر سعد الدين التفتازاني، المطول ص ٥٨٤
- 19 التفتازاني-المطول ص ٥٨٦-٥٨٧.
- 20 أبو يعقوب يوسف السكاكي، مفتاح العلوم ٣٧٢.
- 21 ينظر نفسه ص ٣٧٠
- 22 سعد الدين بن عمر التفتازاني، المطول ص ٥٨٠.
- 23 سعد الدين، التفتازاني المطول شرح التلخيص ص ٥٨١
- 24 نفسه ص ينظر ٥٨٢ وما بعدها
- 25 ينظر سعد الدين التفتازاني المطول، ينظر تعليق السيد الشريف بالهامش ص ٥٨١
- 26 نفسه
- 27 ينظر سعد الدين التفتازاني المطول ص ١٨٢ و ١٧٣.
- 28 سورة البقرة الآية ١٨٧
- 29 ينظر سعد الدين التفتازاني، المطول، ٥٨٢-٥٨٣
- 30 سورة فاطر الآية ١٢.
- 31 نفسه ينظر بتصرف ص ٥٨٢-٥٨٤.
- 32 الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، شرح عقود الجمانص ٩٣.
- 33 سعد الدين التفتازاني، المطول ٥٩١-٥٩٢
- 34 الجاحظ البيان والتبيين ج ١ ث ٨٣.
- 35 ينظر نفسه ٦٠٤.
- 36 محمد مريني هجرة النصوص وهجرة الأفكار من التحليل النصي إلى التحليل الجينالوجي مجلة البلاغة وتحليل الخطاب ص ٥٨
- 37 ينظر السكاكي مفتاح العلوم ص ٣٧٣ وما بعدها.
- 38 ينظر سعد الدين التفتازاني، المطول ص ٥٧٩.